

صيد الغزال

بقلم شفيق نقاش

في صباح يوم من أيام أغسطس العاصية، كانت الغزالة ترعى في جبل البازين Basin. تقضم الأعشاب اللينة رقة وهناءة، وتلفت جيدها محدقة في غطيمها الصغير، ورفيقها الوحيد في هذه الوهاد المقفرة، وهو مضطجع قريباً منها على فراش وثير من السجيلة لقد أخذت البقع العفراء الساحرة تفضي جلده الناعم فتكسبه روعة وبهاء؛ فهي معجبة به، منحو عليه، وتحيطه بنظرات العطف كلما بدت منه حركة دلت على خوف أو ألم، وهو يتحفظ للوثوب خلفها وجللاً كلما خطرت مبتعدة في طلب المشب صورة رائحة للأمومة التي تعطر جو الحياة الكئيبة، والثقة التي تخفف من شقاها

رفعت الغزالة رأسها بسرعة البرق، هل سمعت صوتاً؟ ربما كان ذلك حفيف الرياح الجنوبية تحترق الغابة؛ فالسكون الرهيب غيم على الوادي، والسكينة سائدة في كل مكان رنت الظبية بطرفها، وألقت نظرة اطمئنان على رشأها ثم تابعت رعيها. وبجأة رفعت جيدها واشرايت تجميل الطرف في أنحاء الغابة، وهي ترتجف من الخوف... هناك صدى صراخ متواصل يحترق الوادي، أصفت قليلاً فتأكد لديها نباح كلب يدنو رويداً من ركنا سها الأمين

كان الوقت كافياً لمرحلة طويلة تطويها مبتعدة عن الصيادين. ولكن هناك وحيدها الظبي الألف، وأنيسها في هذه الوحشة، فمن ينقذه؟ هو لا يستطيع اللحاق بها، فلن تكل أمره، ولن تتركه... نتاجت الكلاب غير بعيد، وتجملي للغزالة الخطر المحقق بهما، فوثبت بضع خطوات إلى الوادي تبحث عن ملجأ أو مهرب؛ وهب رشأها مذعوراً وهو يينغ متعجباً

أغرقت الظبية ثم ألقت نظرة وراءها، فرأته يتبعها بسيره البطيء، وهو يتعثر متألماً من الجدوع الخاوية على الأرض، والأشواك التي تعترض سبيله. تابعت الأم سيرها واستمر وحيدها لاحقاً بها يتعروى ويستغيث، لأن البون أصبح شامعاً بينهما - كأن صغير من مخلوقات الله لا يقوى على احتمال الألم والخوف والتعب، فوقع على الأرض! تصاحت الكلاب وتقاربت، واشتد نباحها. وأحرق الموت بهذين البريثين

من كل جانب؛ فذنت المسكينة من صغيرها تلحس بلسانها بشرته الرقيقة الناعمة، واضطجع هو آمناً بقربها، مطمئناً بمودتها، ثم مال بث أن أنمض أجفانه من التعب

فكرت الغزالة في تخليص صغيرها من مغالب الكلاب ورضاص الصيادين، وكان صوتاً أهاب بها فرمت رأسها، وفتحت متخربها، وحدقت طويلاً في مصدر الصوت، ثم نفرت مفتحة الغابة، قاصدة ناحية أعدائها. ولما اقتربت منهم وتأكد لديها اكتشافهم لها واقفناؤهم أثرها، غيرت وجهتها وشرقت بهم مبتعدة عن ولدها فأصبح في مأمن من الشر

تضاءل النباح وراءها، فوثقت من فوزها، وولت وجهها شطر الشمال تود القيام بدورة تعيدها حيث تركت فطيمها، ولكنها ما عتت أن سمعت صوتاً جديداً يقابلها، فانطلقت إلى الأمام بجناز الوادي

هذه صلصلة أجراس القرية تدوى في الفضاء ويتجاوب صداها، لقد أصبحت على مقربة من أكواخ الفلاحين. هنا أيضاً أعداء جدد لم تحلم بهم. سدت في وجهها الطرق، وأغلقت البناوز، وأحاط بها الصيادون من كل جانب. - رحمتك اللهم! ألم تدع للشفقة مكاناً في ذلك الوادي الزاهر حين خلقتة؟ ولا للرحمة موضعاً في تلك القلوب حين كونتها؟

الكلاب تقاؤها من كل ناحية، وسكان القرية يطاردونها رجالاً ونساء وأطفالاً، يود كل منهم لو يظفر بها غنيمة باردة

تذكرت الظبية طلاها^(١) فتجدد أملها بلقائه، وسلكت طريق القرية مرغمة بين بنوح^(٢) الفلاحين ودوى البارود اعترضتها بحيرة قريبة، فألقت نفسها في الماء تشق صفحته، وتسبح بقوة عجيبة. لقد خارت قواها، ولم تعد سيقانها الضئيلة تساعد على المضي في طريق النجاة

ولكن الأمل المنذب - سر الحياة - كان يهيب بها دائماً لا تتحام تلك الغمرات، حتى وصلت الشاطئ فأبرت مطمئة، وتمثلت أنيسها يبحث عنها في وحشته، فهزعت تريد احتضانه. ولكن هل نجحت المسكينة بهذا المذاب الطويل؟ صياد جديد كان يترصدها فاستقبلها برصاص بندقيته، فوقعت جثة هامدة..

شفيق نقاش

« عن الانكليزية بصرف »

(١) الصغير من الظبي ومن كل شيء، (٢) ضجة القوم وأصوات كلابهم